

محمود علالي - جامعة عمار ثليجي

## دور الثورة الجزائرية في تحرير الشعوب الإفريقية

### ملخص

بعد تأسيس هيئة الأمم المتحدة ظهر في العالم نظام دولي جديد مبني على العدالة و الإنصاف ، و كان من المفروض على هذا النظام أن ينصف الدول المستعمرة و يكفل حقوقها في العيش في الحرية و الاستقلال مثل بقية الشعوب الأوروبية التي تحررت من الهيمنة النازية ، إلا أن سيطرة الدول القوية على أجهزة هذه الهيئة حال دون تحقيق طموحات الشعوب المقهورة في القارات الثلاث : إفريقيا ، آسيا و أمريكا اللاتينية ، و كان الشعب الجزائري ضمن هذه الشعوب فلجأ إلى حمل السلاح و إعلان الثورة التحريرية ضد أعتى قوة استعمارية في تلك الفترة .

**الكلمات المفتاحية:** الثورة، الشعوب، الجزائر، إفريقيا.

### **Summary**

*After the establishment of the United Nations, a new international system appeared in the world based on justice and fairness, and this system was supposed to do justice to the colonized countries and guarantee their rights to live in freedom and independence like the rest of the European peoples who were freed from Nazi hegemony. Powerful states over the apparatus of this body prevented the realization of the aspirations of the oppressed peoples in the three continents: Africa, Asia and Latin America. The Algerian people were among these peoples and resorted to taking up arms and declaring the liberation revolution against the mightiest colonial power in that period.*

**Key words:** revolution, peoples, Algeria, Africa.

مقدمة :

أوضحنا فيها الحيز الزمني و المكاني للثورة الجزائرية بالنسبة لتاريخ العالم المعاصر بعد الحرب العالمية الثانية. و بعد كفاح مرير دام سبعة سنوات و نصف ، استطاعت الثورة الجزائرية التي قادتها جبهة التحرير الوطني ، أن تحقق النصر المبين ضد فرنسا بعد 132 سنة من الاحتلال ، الشيء الذي جعل من الثورة الجزائرية مميّزة مقارنة بالثورات العالمية الأخرى ، مثل الثورة الفيتنامية و الثورة المصرية و الثورة الكوبية . و تحاول هذه الدراسة إبراز العوامل و الأسباب التي جعلت من الثورة الجزائرية مميّزة ، و ما مدى تأثيرها في تغيير أوضاع المغرب العربي و إفريقيا؟ و هل بقيت هذه الثورة مصدر الهام للشعوب؟ أم زال بريقها بعد نيل الجزائر لاستقلالها؟ و اعتمدنا في هذه الدراسة على الخطة التالية :

**مبادئ و خصائص ثورة التحرير الجزائرية :** تكلمنا في هذا العنصر على المبادئ و الخصائص التي حملتها الثورة ، و حاولت تجسيدها على أرض الواقع ، سواء أثناء الثورة ضد الاحتلال أو بعد تحقيق الاستقلال ، و توصلنا إلى أن هناك خصائص ميّزت الثورة الجزائرية عن الثورات الأخرى مما جعلها فعلا قبة لثوار العالم .

**دور الثورة الجزائرية في الحركات التحريرية :** حاولنا في هذا العنصر أن نوضح الدور المميّز للثورة الجزائرية ، سواء على مستوى المغرب العربي خاصة في استرجاع ليبيا لمنطقة الفزان و استقلال تونس و المغرب الأقصى ، أو كذلك على مستوى إفريقيا ، حيث أقدمت فرنسا في عهد الجمهورية الخامسة تحت رئاسة الجنرال شارل ديغول، على تقديم استقلالات بالجملة للعديد من الدول الإفريقية ، و هذا بغرض الإبقاء على الجزائر الفرنسية.

**خاتمة :** استطعنا هنا أن نصل إلى استنتاج ، أن الثورة الجزائرية فرضت نظرة جديدة و شاملة للواقع العربي ، و أثبتت أن الممارسة السياسية المباشرة ضد المستعمر لا تجدي نفعا ، ما لم تترن بالعمل الثوري المسلح .

مقدمة:

عُرِفَت العشرية التي تلت الحرب العالمية الثانية بعقد تصفية الاستعمار ، و قد شهدت القارات الثلاث: إفريقيا ، آسيا و أمريكا اللاتينية ثلاث أحداث كبيرة تتباين في أبعادها و قوتها ، و لكنها تشكّل في مجموعها تحولا هاما في العلاقات الدولية ، و هذه الأحداث الثلاث هي ثورات كل من الجزائر و الفيتنام و كوبا ، و عادة تقاس الأحداث التاريخية بمدى ما تحدّثه من تأثير و تغيير في الأوضاع الداخلية و العالمية .

ومنذ ذلك الحين لم تعد أوروبا المركز الوحيد للأحداث السياسية الكبرى في العالم ، فقد تبين للجميع أن هناك عالما ثالثا تتوق شعوبه إلى الحرية و العدالة و التقدم ، و تفرض وجودها بالتدريب على المسرح الدولي . و تعتبر الثورة الجزائرية من أعظم الثورات التي ساهمت في تغيير أوضاع المغرب العربي و إفريقيا ، فقد كانت و لا زالت مشعلا ينير درب الشعوب المقهورة . إذ وصفها أحد الزعماء الأفارقة بقبلة الثوار ، و قد أثبتت للعالم أجمع أن الإرادة و العزيمة هي التي تصنع المعجزات ، و ليست القوة العسكرية و امتلاك الأسلحة الضخمة ؛ فإرادة الشعب الجزائري و عزمته الفولاذية هي التي هزمت فرنسا الاستعمارية المدعومة بعناد الحلف الأطلسي .

فتأثير الثورة التحريرية الجزائرية كان أعظم و أبلغ سواء في الميدان الداخلي للجزائر ، أو العالم الخارجي ، وذلك لكونها كانت ثورة مسلحة ضد سلطة استعمارية شرسة حكمت البلاد بصورة مباشرة طوال قرن و ربع القرن ؛ و كانت ثورة ضد روح التشكيك التي زرعتها هذه السلطة الاستعمارية خلال هذه الفترة الطويلة كذلك ، و جعلت الشعب الجزائري يرى تاريخه الطويل الزاخر بالأجداد و البطولات شبحا و خيالاً أو بمثابة سراب ، و كانت ثورة نموذجية أيقظت معظم الشعوب الإفريقية ، و حفزتها على المطالبة بحريتها و استقلالها . و يرجع الفضل في ذلك إلى المبادئ و الخصائص التي ميّزت الثورة الجزائرية عن غيرها من الثورات العالمية ، مما جعلها عظيمة و بالغة التأثير ، و هذا ما سنحاول أن نوضحه في هذه المداخلة .

## 1) مبادئ و خصائص الثورة التحريرية الجزائرية :

### أ) مبادئ الثورة الجزائرية :

احتوى بيان أول نوفمبر 1954 عدة مبادئ أساسية يجب أن تقام على أساسها الدولة الجزائرية وهي : الجمهورية- الديمقراطية و الحريات و العدالة الاجتماعية و سيادة الأمة السيادة التامة للدولة و المبادئ الإسلامية كإطار للدولة و الوحدة المغاربية في إطار انتماء عربي و إسلامي . و نحاول تحليل مضمون هذه الأسس و المبادئ باختصار :

➤ الجمهورية كنظام للحكم : رغم أن مصطلح الجمهورية لم يرد في بيان أول نوفمبر ، إلا أنّ هذا لا يعني أن مفجري الثورة يؤمنون بنظام آخر للحكم غير النظام الجمهوري ، فلم تعرف الجزائر طيلة الحكم التركي نظاما ملكيا ، بل كان جمهوريا حسب شهادة أغلب المؤرخين<sup>1</sup> ، و بالتالي كان النظام الجمهوري بديها لدى أغلب الجزائريين ، كما أن المقاومات الشعبية لم تسيّر من طرف ملك أو سلطان .

➤ الديمقراطية و الحريات : أشار بيان أول نوفمبر إلى احترام الحريات و تطبيق ديمقراطية اجتماعية ، و ذلك بمشاركة الشعب الجزائري في حكم البلاد و تسيير شؤونه عموميا و محليا ، و إقامة نظام يضمن العدالة للجميع ، و هذا ما أكدته جريدة المجاهد في العدد 12 الصادرة بتاريخ 15/11/1957 حيث أكد صاحب مقال عنوانه "ثورة ديمقراطية"، أن هذه الثورة تستهدف تحرير الأرض ، السلطة و الشعب ، الأرض للفلاح ، تصفية الاقتصاد الاستعماري و بناء اقتصاد مستقل ، تحطيم البقايا الإقطاعية للقرون الوسطى .

➤ العدالة الاجتماعية : سعت الثورة إلى تحقيق العدالة الاجتماعية ، و ذلك بانتهاج نظام اشتراكي بعد الاستقلال يكفل تكافؤ الفرص أمام جميع الجزائريين و في كل المستويات ، و لم يتكرر مصطلح الاشتراكية إلا مرتين ، مرة واحدة على لسان محمد العربي بن مهيدي في مقالة له في المجاهد ، أين أشار إلى أهداف الثورة بقوله: " أن الشعب الجزائري يحمل السلاح مرة أخرى لطرد المحتل الامبريالي و الحصول على شكل للحكم هو الجمهورية الديمقراطية والاجتماعية ، و من أجل نظام اشتراكي يتضمن بشكل خاص إصلاحات زراعية عميقة و ثورية في سبيل حياة معنوية و مادية لائقة "2. و تكرر مصطلح الاشتراكية مرة ثانية في برنامج طرابلس سنة 1962.

➤ المبادئ الإسلامية كإطار للدولة : ترك بيان نوفمبر الباب مفتوحا لكل التأويلات ، لأن الإطار الإسلامي لا يتناقض مع الديمقراطية . كما أن العمل في إطار المبادئ الإسلامية معناه ترك الباب مفتوحا على مصراعيه لكل اجتهاد أو الاستعانة بأفكار و تجارب الدول الأخرى شريطة عدم تناقضها مع المبادئ و الأصول العامة و مقاصد الإسلام ، و بالتالي استطاعت الثورة تحقيق التعايش بين كل أبناء الجزائر بمختلف أطيافها و مشاربها .

### ب) خصائص الثورة الجزائرية :

أدركت الثورة الجزائرية منذ الوهلة الأولى مدى الارتباط العضوي بين الحرية و العدالة و التقدم ، فلا يمكن أن تتحقق الحرية إذا استفحل الظلم الاجتماعي ، و تعتبر العدالة الاجتماعية جوفاء إذا عجزت الأمة عن تحقيق تطلعاتها نحو الازدهار و التقدم ، و لذلك سعت ثورة نوفمبر منذ الوهلة الأولى إلى تجسيد خصائصها على أرض الواقع ، لان هذه الخصائص ميّزت الثورة الجزائرية عن غيرها و هي نابعة من الظروف الداخلية التي عاشتها الجزائر طيلة قرن و إثني و ثلاثون سنة من الاحتلال الغاشم ، و كذلك من طبيعة الشخصية الجزائرية التي لا ترضى الهوان و الاستعباد و تعشق الحرية و الاستقلال ، و تتمثل هذه الخصائص فيما يلي:

ثورة نابغة من الشعب الجزائري الذي احتضنها و لم يعترف بالاحتلال منذ استسلام الداي حسين و فشل المقاومات الشعبية المسلحة ، إذ لم تكن هذه الثورة مسيرة من طرف زعيم واحد أو تهدف إلى تحقيق مطامح فئة اجتماعية أو سياسية معينة<sup>3</sup> ، و من هنا نلاحظ الاختلاف بينها و بين الثورات الأخرى التي كان يتم توجيهها في غالب الأحيان من طرف قيادات حزبية ذات إيديولوجية سياسية يغلب على قيادتها الطابع الفردي . فالثورة الجزائرية قادتها مجموعة من الأشخاص عبّرت عن الطموحات الإنسانية للشعب الجزائري ، و استطاعت هذه القيادة أن تكسب تأييد الجماهير الشعبية ، و تحوّل ذلك التأييد إلى إيديولوجية سياسية تسعى إلى تحقيق العدالة الاجتماعية في الميادين السياسية و الاقتصادية و الثقافية<sup>4</sup> ، و بهذا المعنى قدّمت الثورة الجزائرية لكل دول العالم الثالث نموذجاً ذاتياً ناجحاً و متكاملًا لعملية التحرير الوطني و رؤية متقدمة للبناء الاجتماعي ذي النفس الطويل.

ثورة نابغة من العقيدة الإسلامية ، فقد كان دخول الإسلام إلى الجزائر عامل وحدة ، و ساهمت العقيدة الإسلامية في توحيد السلوك و الاتجاهات ، كما وحدت اللغة التفكير و الشعور . و لذلك اتخذ المستعمرون عدة وسائل لتعميم لغتهم في الجزائر ، و كان من أول التعليمات التي صدرت في مطلع الاحتلال: "أن أياالة الجزائر لن تصبح حقيقة مملوكة فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا هناك رسمية، و العمل الجبار الذي يترتب علينا إنجازاه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي بالتدريج إلى أن تقوم مقام اللغة العربية"<sup>5</sup> ، و استهدفت عملية التعليم الفرنسية غرس الإيديولوجية الاستعمارية لدى نخبة من الأهالي بطريقة غسل المخ ، مع التضييق على التعليم الأهلي (التقليدي) المتمركز في الزوايا و الكتاتيب التي أصبحت آخر حصن للشخصية الوطنية و مقوماتها المتمثلة أساساً في العقيدة الإسلامية و اللغة العربية . انطلاقاً من ذلك قامت جمعية العلماء المسلمين بتأسيس المئات من المدارس عبر التراب الوطني ، و التي كانت تتكفل بمليوني طفل عربي مسلم في سن الدراسة عشية أول نوفمبر 1954<sup>6</sup> ، أي أن الإسلام ساهم في حماية الشخصية الوطنية من الذوبان في الشخصية الأوروبية ، و حفظ للشعب الجزائري كيانه و شخصيته و مقوماتها، فالإسلام كان مشعل الثورة كما يجمع أغلب المؤرخين . و هذه الخاصية غير موجودة في الثورات الكبرى باستثناء الثورة الإيرانية ضد الشاه سنة 1979 و التي كان منطلقها العقيدة الإسلامية.

ثورة قامت على أساس القيادة الجماعية و العمل المشترك ، و هذا ما يؤكد بيان أول نوفمبر : "أمام هذه الوضعية التي يخشى أن يصبح علاجها مستحيلًا ، رأت مجموعة من الشباب المسؤولين المناضلين

أن الوقت قد حان لإخراج الحركة الوطنية من المأزق الذي أوقعها فيه صراع الأشخاص و التأثيرات لدفعها إلى المعركة الحقيقية الثورية...". ، فلم تكن الثورة الجزائرية انقلابا ضد نظام وطي بوجوازي ، بل كانت ثورة ضد الظلم و التهميش و ضد الغزاة الأجانب ، و تحمّلت جبهة التحرير الوطني مسؤولية قيادة الثورة ، و استطاعت هذه الجبهة استقطاب جميع التشكيلات السياسية الجزائرية التي كانت نشط منذ سنة 1919، فتخلت هذه التشكيلات عن النظرة الحزبية الضيقة ، و قبلت بحل نفسها و انضمام أفرادها إلى الثورة<sup>7</sup> ، و هكذا كانت تسند المسؤولية في الثورة لكل شخص أثبت تفانيه و إخلاصه و تضحيته من أجل نجاح الكفاح المسلح<sup>8</sup> .

✚ انتماء قادة الثورة إلى طبقة الفلاحين و العمال ، فبعد سقوط الجزائر سنة 1830 انتقلت المقاومة إلى الريف ، و بالتالي كانت فكرة الثورة موجودة في أذهان الجزائريين منذ أن وطئت أقدام الاستعمار الفرنسي الغاشم أرض الجزائر الطاهرة . و قد كان العمل الثوري في الجزائر قد انطلق منذ الفاتح من نوفمبر 1954 قبل انطلاق التنظير السياسي ، حيث إن قادة الثورة كانوا من الوطنيين المتشبعين بفكرة الثورة على الظلم والاضطهاد ، و كانت الأقلية الأوروبية تستحوذ على كل الامتيازات<sup>9</sup>، و قد تولّد عن ذلك الإحباط في نفوس جميع الجزائريين و أصبح كل فرد يسعى بطريقته الخاصة لتأليب الجماعات الأخرى ضد التواجد الاستعماري . أما المثقفون الجزائريون فلم يتوانوا في الانضمام إلى الثورة بعد أن رأوا فعالية و سلامة الاتجاه الثوري<sup>10</sup> .

✚ ثورة لطرده الاحتلال الأجنبي، إذ كانت فرنسا تعتبر الجزائر جزء لا يتجزأ من أراضيها منذ 22 جويلية 1834<sup>11</sup>، و بالتالي فالثورة الجزائرية تختلف عن الثورات الأخرى التي كانت في غالبها ضد الحكم البورجوازي الرأسمالي ، و هكذا كانت هذه الظاهرة قد ساهمت و ساعدت على توحيد الصف الجزائري ضد الغزاة الأجانب الذين قدموا من أوروبا لتسليط القمع و الإرهاب على جميع الجزائريين<sup>12</sup> .

✚ أعادت الثورة الجزائرية الاعتبار لكل الفئات الوطنية المحرومة ، و أيقظت في الآلاف من الناس الآيسين من الاستعمار روح الأمل و طموحات لم يكونوا يعرفونها من قبل ، أو على الأقل لم يكونوا حتى يشعرون أنه بإمكانهم نيلها ، أي أن الثورة فرضت تكييفا جديدا للأفكار و الأوضاع في الجزائر و ولّدت شعور الكره المشترك للاستعمار ؛ و هذا الوضع يختلف عن أوضاع الثورات الأخرى التي كانت تسعى لتغيير الأوضاع لصالح فئة المحرومين من طبقة معينة ، و تحديد سلطات البورجوازيين والأثرياء المتواطئين مع الفئات الحاكمة<sup>13</sup> .

سعت الثورة الجزائرية إلى التخلص من التبعية الأجنبية في المجال الاقتصادي و السياسي ، و هذه الخاصية تشترك فيها الثورة الجزائرية مع معظم الثورات التي حصلت في القرن العشرين ، و لذلك حاولت الجزائر المستقلة في إطار سياستها التنموية - الجهاد الأكبر - ، خلق مؤسسات اقتصادية وطنية قادرة على استثمار الثورات المحلية و توجيه تلك المؤسسات من طرف عناصر محلية متشعبة بالروح الوطنية<sup>14</sup>. حرصت الثورة الجزائرية منذ البداية إلى التحرر من الوصاية العربية<sup>15</sup> و رفضت التدخلات الأجنبية في الشؤون الداخلية لكل البلدان ، و هذه الحقيقة معروفة عن الجزائر و ثورتها لأنها لازالت إلى يومنا هذا تنادي بتقرير المصير لكل الشعوب المضطهدة و عدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل بلد . بفضل التعلق بهذا المبدأ و الالتزام به استطاعت الثورة الجزائرية أن تزِيل بعض الخرافات و التموهيات مثل إرسال أسلحة الحلف الأطلسي إلى الجزائر لمحاربة الثوار بدعوى محاربة الشيوعية الدولية<sup>16</sup>، و كذلك إبطال حجة فرنسا الموجودة بأوروبا بأن الجزائر الموجودة في إفريقيا جزء لا يتجزأ من أراضيها و لا ينبغي عرضها على الأمم المتحدة.

قامت الثورة الجزائرية بإعادة بناء العلاقات الاجتماعية على أسس جديدة ، حيث كان الفرنسيون يتحكمون في تسيير الجزائر و يساعدهم في ذلك عملاؤهم من القياد و الحركى الذين يأترون بأوامر الضباط و السياسة الفرنسيون ، و ذلك للمحافظة على امتيازاتها ، أما الجزائريون غير المتواطئين مع الاستعمار فكانوا مهمشين و خارج اللعبة السياسية ؛ و بفضل قيام الثورة وقعت تغيرات اجتماعية و توطدت العلاقات بين المواطنين و ذابت تلك الفوارق المصطنعة ، خاصة بين الريف و المدينة ، بحيث أصبحت القيادة الثورية تسعى لتقديم الخدمات للجميع ، و ليس التحكم في المواطنين و استغلالهم مثلما كانت تفعل الإدارة الاستعمارية في السابق.

## 2- دور الثورة الجزائرية في الحركات التحررية:

❖ مساهمة الثورة الجزائرية في استقلال كل من المغرب الأقصى و تونس: لم يكن تأثير الثورة الجزائرية مقتصرًا على تونس و المغرب ، بل كان له تأثير كذلك على ليبيا التي استطاعت أن تعجل بإخراج فرنسا من فزان ، إذ أنّ المفاوضات بين ليبيا و فرنسا بدأت منذ إنشاء المملكة الليبية في 24 ديسمبر 1951<sup>17</sup>، و بفضل شدة الثورة التحريرية الجزائرية قبلت فرنسا الجلوس إلى مائدة

المفاوضات و التوقيع على عودة منطقة فزان إلى ليبيا يوم 10 أوت 1955، و لم يصادق البرلمان الفرنسي على هذه المعاهدة إلا في 22 نوفمبر 1956<sup>18</sup>.

كان المغرب الأقصى يطالب باستقلاله منذ معاهدة الحماية سنة 1912، و شهد المغرب عدة تطورات خاصة بعد اندلاع الثورة الجزائرية ، أبرزها نفي الملك محمد الخامس إلى جزيرة مدغشقر مما أدى إلى تعاطف الرأي العام الدولي و إصرار الشعب المغربي على عودته ، كما أن ضغط الثورة الجزائرية كان له وقع على ذلك حيث أصبح الوضع العسكري يقلق الحكومة الفرنسية<sup>19</sup> ، خاصة إثر هجومات الشمال القسنطيني . فقد كانت حكومة ايدغار فور Edgar Faure مصرة على عدم عودة الملك و هذا ما نلاحظه من خلال تصريحه للصحافة: "أنه ليس من المتصور إعادة السلطان السابق محمد الخامس إلى العرش ، و أن الحكومة الفرنسية ستحاول الاعتماد على سلطة السلطان الحالي محمد بن عرفة"<sup>20</sup>، و مباشرة بعد التصعيد العسكري الذي قام به الشهيد البطل زيغود يوسف تغيرت المواقف الفرنسية ، و في 22 أوت 1955 بدأت المحادثات الفرنسية المغربية في مدينة إيكس ليبان Aix-les-bains ، و في 27 من نفس الشهر اختتمت الجلسات بقرار سحب بن عرفة و تكوين مجلس العرش و تعيين حكومة ممثلة للمغرب تتفاوض مع فرنسا حول الاستقلال.

و قد كان لتسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال هيئة الأمم المتحدة ضغط كبير على السياسة الفرنسية في المنطقة مما جعلها تعيد محمد الخامس إلى الحكم في 16 نوفمبر 1955، و استغلت الحكومة المغربية الوضع من أجل انتزاع استقلالها في 2 مارس 1956 حيث اعترفت فرنسا رسميا للمغرب باستعادة استقلاله .

بعد إمضاء اتفاقية جنيف حول الهند الصينية في جويلية 1954، اتجه رئيس الحكومة الفرنسية آنذاك منديس فرانس إلى تونس و صاحب معه المارشال جوان ، و أعلن هناك منح تونس استقلالها ذاتيا داخليا لمدة عشرين سنة<sup>21</sup>، و لكن الشعب التونسي لم يرض بهذا الاستقلال المبتور، بينما تقوم بجواره ثورة في المغرب الأقصى و الجزائر خاصة بعد أحداث 20 أوت 1955 في الشمال القسنطيني الجزائري ، و لذلك صعد بورقيبة في لهجة الحوار مع فرنسا و وسع مطالبه في إطار سياسة خذ و طالب ، إذ كانت فرنسا تشتترط على تونس نزع السلاح من المجاهدين قبل التفاوض حول الاستقلال الداخلي، و هذا ما جعل بورقيبة يرفض ذلك بقوله: "إذا تمادت فرنسا في تشددها في قضية الفلاحة فإنها ستحول شمال إفريقيا كله إلى فيتنام جديد"<sup>22</sup>. و قد كانت هذه الأحداث المزدحمة بالمغرب الأقصى و الجزائر

حافزا للرئيس التونسي بورقيبة ليشد الرحال إلى باريس في 3 فيفري 1956 و يطالب بالاستقلال التام. و نتيجة لتضاعف العمليات العسكرية في الجزائر ، فقد جاء في صدر الصفحة الأولى من جريدة لوموند الفرنسية هذا العنوان البارز: "المتوردون الجزائريون يضاعفون الهجوم على امتداد القطر الجزائري من الشرق القسنطيني حتى الحدود المغربية"<sup>23</sup>، و كذلك بعد سلسلة من المفاوضات المتعثرة استطاع بورقيبة أن ينتزع من غي موليه رئيس الحكومة الفرنسية الاستقلال لتونس في 20 مارس 1956، و لم يكن في ذلك تردد آخر لفرنسا ، و قد غرقت هذه الأخيرة في أحداث ثورة الجزائر المظفرة و ضربات جيش التحرير في كل بقعة .

و هكذا تخلصت فرنسا من ثورتين شرق و غرب الجزائر لهدف رئيسي و حتمي و هو التفرغ لقمع هذه الثورة المشتعلة في أكبر دولة في المغرب العربي، و التي تربطها بما مصالح كبيرة اقتصاديا و ثقافيا و جغرافيا و استراتيجيا.

و عندما انتصر الاشتراكيون بفرنسا في انتخابات مطلع عام 1956، توقع المراقبون أن تعصف فرنسا بثورة الجزائر، و لكن قادة الثورة المباركة كانوا يعرفون كل المعرفة أنها سوف لن تفعل شيئا ، لأن الاشتراكيين و اليسار الفرنسي بصفة عامة لا يختلفون عن أحزاب اليمين الفرنسي تجاه الجزائر و ثورتها ، و لم يكونوا يفكروا في حل جذري لقضيتها ، لأن غي موليه ، الأمين العام للحزب الاشتراكي آنذاك ، و رئيس الحكومة الفرنسية الجديدة ، و روبرت لاكوست الاشتراكي الآخر صاحب خرافة - الربع الساعة الأخير- للقضاء على الثورة الجزائرية و كذا الفيلسوف جاك سوستال الذين غرقوا في أدغال الثورة الميرة التي بقيت تدوس كل القوات الاستعمارية سواء المسلحة أو السياسية منها ، و تسقط سبع حكومات فرنسية متتالية و تطيح بالجمهورية الفرنسية الرابعة بأكملها : و هذه الحكومات هي: حكومة منديس فرانس، حكومة غي موليه الأولى، حكومة برجس منوري، حكومة ايدغار فور، حكومة فليكس غيار، حكومة غي موليه الثانية، و حكومة ميشال دوبري.

و بعد عودة ديغول إلى الحكم حاول بكل الأساليب الإبقاء على المستعمرات الفرنسية في إفريقيا موحدة، إلا أنه في الأخير رضخ للأمر الواقع و هذا ما نستشفه من خلال شرحه لسياسته في قوله: "و هكذا أخذت أراضي إفريقيا الفرنسية و مدغشقر طوال سنتي 1959-1960 تنتظم و تتكون دولا حسب طرق ديمقراطية"<sup>24</sup>، و يضيف في مكان آخر: "و تحولت مستعمراتنا السابقة في القارة السوداء و كذلك الجزيرة الكبيرة على المحيط الهندي (مدغشقر) إلى جمهوريات بمساعدتنا، لأنني قدّرت كم من

ثورة قد تقوم في ممتلكاتنا السابقة إذا ما رفضنا لها ما هو عدل و إنصاف ، من جهة و لا مفر منه ، بل سيكون واقعا محتوما من جهة أخرى في تيار الحقائق النفسية و السياسية(الحرب المتواصلة في الجزائر...)25.

#### ❖ أعادت الثورة الجزائرية الثقة بالنفس للشعب الجزائري والشعوب المحتلة الأخرى:

ربما يبدو للبعض أن هذه الثقة العائدة بسيطة أو ساذجة ، و لكن أهميتها في الحقيقة والواقع بالغة الأهمية ، و لولاها لما حمل شعبنا السلاح ضد فرنسا الاستعمارية و لما تحمّل تلك الأهوال الجسام التي تعجز الألسن عن وصفها و الأرقام عن إحصائها ، فقد أبطلت ثورة نوفمبر 1954 كل المشاريع الفرنسية لطمس الهوية<sup>26</sup>. فهناك اليوم أمثلة حية لشعوب فقدت الثقة في نفسها ، و عجزت عن فعل أي شيء ، البعض منها في طريق الدوبان في الغير، و البعض يخطط له نفس التخطيط إذا لم يتحرك و ينفذ الغبار من حوله. فمن بين هذه الشعوب التي ذابت نجد الهنود الحمر بأمريكا الشمالية والجنوبية ، و سكان استراليا وزيلاندا الجديدة ، و معظم أرخبيلات المحيطين الهادي و الهندي و حتى الأطلسي ، الذين مسختهم المجتمعات الأوروبية الغازية و المستعمرة لبلدانها ، و لم تبق على البعض منها إلا من اجل الاستغلال السياحي و الدراسات البشرية كما هو الحال باستراليا.

فرعيم السود بجنوب إفريقيا نيلسون مانديلا كان قد تدرّب بالجزائر مباشرة بعد استقلال هذه الأخيرة ، و استلهم من الثورة التحريرية نضالها ، فبمجرد عودته إلى بلاده باشر في نضاله ضد الأقليات البيضاء التي طبقت منذ بداية القرن العشرين سياسة التفرقة العنصرية و القضاء على السكان الوطنيين بكل الوسائل ، فرغم تعرضه للسجن لمدة تزيد عن 25 سنة منذ سنة 1963 إلا أنه باشر نضاله التحرري ، و كان أول رئيس أسود لجنوب إفريقيا.

كما أن القضية الفلسطينية لازالت تستلهم من الثورة الجزائرية نضالها العسكري و السياسي.

#### ❖ استقلال عدة دول في القارة الإفريقية:

نتيجة للتعفن السياسي و الدبلوماسي في فرنسا الذي امتد داخليا و خارجيا و حتى في الجيش الفرنسي الذي أصبح يشعر بالمرارة من الهزائم النكراء التي توالى عليه ، و بفضل إستراتيجية الثورة و عملها السياسي و الدبلوماسي عبر القنوات المتعددة في الداخل و البعثات في الخارج ، وصل الأمر إلى تمرد ضباط و جنرالات

الجيش الفرنسي بالجزائر صباح يوم 13 ماي 1958، حيث لجأوا إلى الجنرال ديغول لينقذهم من ردود فعل الثورة و شراستها و يحمي لهم ما بقي مما سموه "بالجزائر الفرنسية".

و لكنه كان يمتاز بنظرته البعيدة لمصالح فرنسا الداخلية و الخارجية فأكثر من التردد على الأرض المستعمرة (الجزائر) ليطلع بنفسه على الأمر الواقع و يتبعه عن كثب . و كمحاولة لتحدي الثورة الجزائرية ، و التفرغ لمواجهتها ، التفت فرنسا تحت قيادة الجنرال ديغول إلى مشاكل المستعمرات الفرنسية الأخرى في إفريقيا للتخلص منها و الاهتمام بالمستعمرة الكبرى التي كانت تعتبرها قطعة لا يمكن أن تنفصل عن فرنسا أبدا ، ألا و هي الجزائر . و قد كانت شعوب المستعمرات قبل اندلاع ثورة نوفمبر الجزائرية شبه نائمة و مستكينه لسبات الغفلة و التخلف ، فأيقظتها هذه بضجيجها وهديرها و تساءلت عما يجري في شمال قارتها.

و قد حاول الجنرال ديغول إقحام البلدان الإفريقية فيما سماه "بالاتحاد الإفريقي الفرنسي" حتى لا تفلت منه ، و يرصد إمكانيات فرنسا كلها لمحاربة الثورة الجزائرية و تصفية حسابها لوحدها ، و لكن العكس هو الذي حصل ، فأثناء الانتخابات التي أعلنها شعب غينيا عام 1958 مع أحمد سيكوتوري ، و التي كانت بنتيجة لا Non للانضمام للاتحاد الفرنسي و المطالبة بحق الشعب الغيني في الاستقلال و الانفصال عن فرنسا ، كانت تلك بداية لمسيرة شعوب القارة السمراء نحو التحرر و تحقيق الاستقلال الوطني فبعد تجربة غينيا الناجحة ، أخذت باقي الشعوب الإفريقية الأخرى تعلن صيحتها و تطالب بحقوقها في الاستقلال و الحرية؛ و لما عمَّ الغضب سائر بلدان إفريقيا ، اضطرت فرنسا أن تسلّم الاستقلال بالجملة و أمضى رئيس وزرائها ميشال دوبري في ظرف عام واحد 1960 على استقلال 12 بلدا إفريقيا ، و هي: مالي، سنغال، فلطا العليا، ساحل العاج، الداهومي، إفريقيا الوسطى، تشاد، النيجر، الغابون، الكونغو (برازافيل)، الكامرون ، موريتانيا.

و لم يكن هذا الاعتراف كرما و سخاء من فرنسا ، و إنما بفضل الثورة الجزائرية التي كانت بمثابة البعبع الذي يخيفها و العقدة التي لم تتحرر منها . و كانت فرنسا تظن و تتصور أن التخلص من هذه الدول الإفريقية يتيح لها الفرصة و القوة لكي تتخلص من ثورة الجزائر ، و هذا ما نجده في سياق كلام ديغول عن الجزائر: " و من جهة أخرى تحققت من أننا بمواصلة صراع خيالي إلى ما لا نهاية نعرض روح جيشنا ذاته و من خلاله وحدتنا الوطنية نفسها أيضا للخطر"<sup>27</sup>.

و لا يمكننا إنكار الفائدة المزدوجة التي استفادت منها دول إفريقيا ، و استفادة الثورة الجزائرية من تحرر دول إفريقيا كلها من رجس الاستعمار الفرنسي و البريطاني ، و البلجيكي ، و حتى الاسباني و البرتغالي. فقد

وجدت الجزائر في الدول الشقيقة متنفسا و سندا قويا لها في كفاحها الطويل ضد الاحتلال، و بذلك تعززت الوحدة المغاربية بين الإخوة الأشقاء ، و استرجعت الأمة الجزائرية سيادتها بعد132 سنة من الاستعمار.

### الخاتمة :

و هكذا ، يمكننا القول بأن ثورة أول نوفمبر1954تعتبر من الأحداث العالمية الكبرى في التاريخ المعاصر، سواء من حيث المبادئ و الخصائص التي ميّزتها عن غيرها من الثورات ، أو من حيث الوسائل التي استعملتها للوصول إلى الحق المعتصّب و إلى الحرية المصادرة . فقد طرحت الثورة الجزائرية نظرة جديدة و شاملة للواقع العربي ، و أثبتت أن الممارسة النضالية المباشرة ضد المستعمر هي وحدها الكفيلة باسترجاع الحقوق الشرعية للشعوب ، و اكتشفت الأمة العربية الطريقة المثلى للتخلص من الجدل النظري الذي ظل يجرها عبر عدة سنوات إلى متاهات لا علاقة لها بالواقع<sup>28</sup> ، فانعكست آثارها الحسنة و الايجابية على معظم شعوب العالم الثالث، و خاصة في إفريقيا ، آسيا ، و أمريكا اللاتينية ، بل صارت تُمثّل تجربة رائدة في الكفاح الوطني ضد الاستعمار و في المواقف البناءة و الدءوبة تجاه القضايا العالمية العادلة والمحبة للسلام.

### الهوامش

<sup>1</sup> جمال قنان،نصوص و وثائق في تاريخ الجزائر الحديث 1500-1830،(المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر،1987)،ص87. و كذلك :

Eugene Plantet,Correspondance des Deys d'Alger avec la cour de france1579-1833,T1,1579-1700,(Paris,1889), pxx.

<sup>2</sup> El-Moudjahid N<sup>o</sup>2,annee1956.

<sup>3</sup> محمد العربي ولد خليفة،الثورة الجزائرية..معطيات و تحديات،(المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،ط1،1991)،صص،82،81.

<sup>4</sup>فؤاد محمد شبل،الفكر السياسي:دراسة مقارنة للمذاهب السياسية و الاجتماعية،(الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1974)،ص26.

<sup>5</sup>ساطع الحصري،أبحاث مختارة في القومية العربية،(الدار القومية للطباعة و النشر،القاهرة)،ص43.

<sup>6</sup> الطاهر زرهوني،التعليم في الجزائر قبل و بعد الاستقلال،مجلة الثقافة،العدد95،(وزارة الثقافة،الجزائر ، السنة السادسة عشر، سبتمبر-أكتوبر1986)،ص263.

<sup>7</sup> عمار أوزقان،الجهاد الأفضل،(دار الطليعة،بيروت،1962)،ص134.

- 8 **مراد صديقي**، الثورة الجزائرية عمليات التسلح السرية، ترجمة أحمد الخطيب، (دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2010)، ص12.
- 9 **فرحات عباس**، ليل الاستعمار-حرب الجزائر وثورتها-، ترجمة أبو بكر رحال، (منشورات ANEP، رغاية، الجزائر، 2005)، ص49.
- 10 نفس المرجع، ص34.
- 11 يسمى قانون الإلحاق، بمقتضاه اعتبرت الجزائر قطعة فرنسية، وبدأت الدولة الفرنسية في تنفيذ مشروعاتها الإدماجي في الجزائر، حول هذا الموضوع أنظر:  
**أبو القاسم سعد الله**، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني 1900-1930، (الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1983، 3)، ص18.
- 12 **محمد بجاوي**، الثورة الجزائرية و القانون 1960-1961، ترجمة علي الخش، (دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط2005، 2)، صص277، 278.
- 13 **محمد العربي ولد خليفة**، المرجع السابق، ص114.
- 14 نفس المرجع، صص95-101.
- 15 **محمد العربي الزبيري**، تأملات حول كتاب عبد الناصر و الثورة الجزائرية، مجلة الثقافة، العدد104، (وزارة الثقافة، الجزائر، السنة التاسعة عشرة، سبتمبر-أكتوبر 1994)، صص32-38.
- 16 **مريم صغير**، القضية الجزائرية في ظل الحرب الباردة بين القوتين العظميين 1954-1962، مجلة المصادر، العدد10، (المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة نوفمبر 1954، الأبيار، الجزائر، السداسي الثاني 2004)، صص176-179.
- 17 Le Monde 12aout 1955
- 18 Le journal officiel français decembre 1956  
و انظر كذلك: **محمد ودوع**، الدعم الليبي للثورة التحريرية، (مؤسسة كوشكار للنشر و التوزيع، الجزائر، 2008)، صص76-79.
- 19 Le Monde 25fevrier 1955
- 20 Le Monde 29juillet 1955
- 21 Le monde 19novembre 1954
- 22 Ibid.
- 23 Le Monde 25fevrier 1956
- 24 **Charles De Gaulle**, Mémoires d'espoir-le renouveau 1958-1962, T1, (edit.librairie Plon, 1970), p69.
- 25 Ibid, p71.
- 26 **محمد العربي ولد خليفة**، الثورة الجزائرية و مكاسبها الباقية، مجلة المصادر، العدد الثاني، (المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الأبيار، الجزائر، 1999)، صص70، 71.
- 27 **Charles De Gaulle**, op.cit.p79.
- 28 **أحمد بشيري**، الثورة الجزائرية و الجامعة العربية، (منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، ط2009، 2)، ص40.

## المراجع

- أبو القاسم سعد الله**، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني 1900-1930، (الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1983، 3)  
**أحمد بشيري**، الثورة الجزائرية و الجامعة العربية، (منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، ط2009، 2)  
**ساطع الحصري**، أبحاث مختارة في القومية العربية، (الدار القومية للطباعة و النشر، القاهرة)

- فرحات عباس ، ليل الاستعمار-حرب الجزائر و ثورتها-، ترجمة أوبكر رحال، منشورات ANEP،  
رغاية، الجزائر، 2005)
- فؤاد محمد شبل، الفكر السياسي: دراسة مقارنة للمذاهب السياسية و الاجتماعية، (الهيئة المصرية العامة  
للكتاب، القاهرة، 1974)
- محمد العربي ولد خليفة، الثورة الجزائرية. معطيات و تحديات، (المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1،  
1991)
- محمد بجاوي، الثورة الجزائرية و القانون 1960-1961، ترجمة علي الخش، (دار الرائد للكتاب،  
الجزائر، ط2، 2005)
- محمد ودوع، الدعم الليبي للثورة التحريرية، (مؤسسة كوشكار للنشر و التوزيع، الجزائر، 2008)
- مراد صديقي، الثورة الجزائرية عمليات التسلح السرية، ترجمة أحمد الخطيب، (دار الرائد للكتاب،  
الجزائر، 2010)
- عمار أوزقان، الجهاد الأفضل، (دار الطليعة، بيروت، 1962)
- Charles De Gaulle, Mémoires d'espoir-le renouveau 1958-1962, T1,**  
(edit.librairie Plon, 1970)

### المقالات و المجلات :

- الطاهر زرهوني، التعليم في الجزائر قبل و بعد الاستقلال، مجلة الثقافة، العدد 95، (وزارة الثقافة، الجزائر ،  
السنة السادسة عشر، سبتمبر-أكتوبر 1986)
- محمد العربي الزبيري، تأملات حول كتاب عبد الناصر و الثورة الجزائرية، مجلة الثقافة، العدد 104،  
(وزارة الثقافة، الجزائر، السنة التاسعة عشرة، سبتمبر-أكتوبر 1994)
- محمد العربي ولد خليفة، الثورة الجزائرية و مكاسبها الباقية، مجلة المصادر، العدد الثاني، (المركز الوطني  
للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الأبيار، الجزائر، 1999)
- مريم صغير، القضية الجزائرية في ظل الحرب الباردة بين القوتين العظميين 1954-1962، مجلة  
المصادر، العدد 10، (المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة نوفمبر 1954،  
الأبيار، الجزائر، السداسي الثاني 2004)

- El-Moudjahid N°2, 1956.  
Le journal officiel français decembre 1956  
Le Monde 12 aout 1955  
Le Monde 25 fevrier 1955  
Le Monde 29 juillet 1955  
Le Monde 19 novembre 1954  
Le Monde 25 fevrier 1956